

دلائل الإعجاز

في الصِّلة ازدادَ الاشتباكُ والاقترانُ حتى لا يتصورَ رُ تقديرُ إفرادٍ في أحدهما عن الآخرِ وذلك في مثلِ قولِكَ : العَجَبُ من أني أحسنتُ وأسأتَ ويكفيكَ ما قُلتُ وسمعتَ وأيْحَسُنُ أن تنهَى عن شيءٍ وتأتِي مثلهُ وذلك أنه لا يشبهُ على عاقلٍ أنَّ المعنى على جعلِ الفِعْلَيْنِ في حكمِ فعلٍ واحدٍ . ومنَ البيِّنِ في ذلك قولُهُ : .
(لا تَطْمَعُوا أَنْ تُهَيِّنُونَا وَتُكْرِمَكُمُ ... وَأَنْ تَكُفَّ الأَذَى عَنكُمُ
وتؤذونا) .

المعنى : لا تطمعوا أن تروا إكرامنا وقد وجد مع إهانتهكم وجامعها في الحصول .
وممَّا له مأخذٌ لطيفٌ في هذا البابِ قولُ أبي تمام - الطويل - : .
(لَهَانَ عَلَيْنَا أَنْ نَقُولَ وَتَفْعَلَا ... وَنَذْكُرَ بَعْضَ الْفَضْلِ مِنْكَ وَتُفْضِلَا) .

وأعلمُ أنه كما كان في الأسماءِ ما يَصِلُهُ معناهُ بالاسمِ قبله فيستغني بصلتهِ معناهُ له عن واصلِ يصلُهُ ورابطِ يربطُهُ وذلك كالصِّفةِ التي لا تحتاجُ في اتِّصالِها بالموصوفِ إلى شيءٍ يصلُّها به وكالتأكيدِ الذي يفتقرُ كذلك إلى ما يصلُّه بالمؤكدِ - كذلك يكونُ في الجملِ ما تتصلُّ من ذاتِ نفسها بالتي قبلها وتستغني بربطِ معناها لها عن حَرْفِ عطفِ يربطُها وهي كلُّ جملةٍ كانت مؤكِّدةً للتي قبلها ومبيِّنَةً لها . وكانت إذا حُصِّلتْ لم تكن شيئاً سواها كما لا تكونُ الصفةُ غيرَ الموصوفِ والتأكيدُ غيرَ المؤكَّدِ . فإذا قلتَ : جاءني زيدُ الظريفُ وجاءني القومُ كلُّهم لم يكنِ الظريفُ وكلُّهم غيرَ زيدٍ وغيرَ القومِ .

ومثالُ ما هو من الجملِ كذلك قوله تعالى (ألم ذلك الكتابُ لا ريبَ فيه) .
قولُهُ (لا ريبَ فيه) بيانٌ وتوكيدٌ وتحقيقٌ لقولِهِ : (ذلك الكتابُ) وزيادةُ تثبیتِ له وبمنزلةِ أنْ تقولَ : هو ذلك الكتابُ هو ذلك الكتابُ فتعيدهُ مرةً ثانيةً لتثبیتِهِ . وليس تثبیتُ الخبرِ غيرَ الخبرِ ولا شيءَ يتميِّزُ به عنه فيحتاجُ إلى ضمٍّ يَضُمُّهُ إليه وعاطفٍ يعطفُهُ عليه . ومثلُ ذلك قولُهُ تعالى : (إنَّ الذينَ كفَرُوا سواءٌ أَعْلَيْهِمْ أَذْذُرٌ تَهْمُ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ) .
خَتَمَ اللهُ